

## التفاعل الثقافي الحضاري في العصر العباسي

د. خلف محمد جراد

الدولة العباسية تمتد من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسي كانت غرباً، ومن المحيط الهندي والقرن الأفريقي جنوباً إلى بلاد الترك والخزر والروم والصقالبة شمالاً، وبذلك كانت تضم بين جناحيها بلاد السند وخراسان وماوراء النهر وإيران والعراق والجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر والمغرب العربي. وهي أوطان كثيرة، تعيش فيها منذ القدم شعوب وأقوام وجماعات متباينة في الجنس واللغة والثقافة، غير أنها لم تكن تدخل في نطاق الثقافة العربية حتى أخذت عناصرها المختلفة تمتزج بالعنصر العربي امتزاجاً قوياً، فإذا بنا إزاء حضارة تتألف من أجناس وعناصر مختلفة، فمضت هذه الأجناس تنصهر في الوعاء العربي حتى غدت كأنها جنس واحد.

وقد تميّز العصر العباسي باختلاط كبير بين الأمم المفتوحة وامتزاجها في السكن والمصاهرة وفي الحياة الاجتماعية والمهن والحرف.. الخ، بحيث غدت أحياء المدن الكبرى تعجّ بالعرب والهنود والأحباش والفرس والترك والأكراد والأروام والأرمن وغيرهم، وبحيث أصبح العربي خالص الدم في بغداد (عاصمة العباسيين) نادراً، فالكثرة الكثيرة من أبناء العرب كانت أمهاتهم من السنديات أو الفارسيات أو الحبشيات أو التركيات، وكذلك الشأن في الخلفاء أنفسهم.

وكان وراء هذا الامتزاج الدموي بين العناصر والشعوب والأقوام المختلفة امتزاج روحي عن طريق الولاء الذي شرعه الإسلام، والسياسة الحكيمة، التي قامت على التسامح والاحترام المتبادل، فتحوّل الولاء إلى الكيان الواحد إلى رابطة تشبه رابطة الدم، فالشخص يكون فارساً أو هندياً أو رومياً أو حبشياً ويكون عربي الولاء، بل إن الرقيق كانوا بمجرد تحريرهم يصبحون موالى لأصحابهم وينسبون إلى القبائل العربية مثلهم مثل أبنائها الأصليين.

وهذا الرقيق إنما كان قلة قليلة بالقياس إلى أحرار الموالى الذين كانت تتكون منهم الشعوب المفتوحة، وقد دخل أكثرهم الإسلام، وامتزجوا بأهله من العرب ونعموا بما يكفل للناس من عدل

ومساواة. وحتى من لم يعتنق الإسلام من الموالي (من المجوس الصابئة والنصارى غير العرب) أخذ يندمج من المحيط العربي بفضل مآشرعه الاسلام لهم من حقوق اجتماعية وحرية دينية. وبذلك فتحت بينهم وبين المسلمين أبواب التعاون الوثيق -على مصاريحها- في شؤون الحياة كلها، وحقاً دخل جمهورهم الضخم في الإسلام ولكن دون ضغط أو إكراه أو عنف.

وبذلك استطاع الخلفاء العباسيون -بسياستهم المتسامحة، المنفتحة- أن يحدثوا امتزاجاً قوياً بالعناصر والأقوام والشعوب والجماعات المختلفة التي كانت تتألف منها الدولة، وهو امتزاج لم يبلغوه بامتلاك الأرض المفتوحة، إنما بلغوه باحترام الاختلاف والتنوع والتعدد.

بالانفتاح وضمان حرية الاعتقاد شعرت الشعوب غير العربية بالولاء للدولة، أسرعت معظمها إلى تعلم لغة القرآن الكريم والحديث النبوي، فلم يمض نحو قرن حتى أخذت العربية تسود في أنحاء العالم الإسلامي، لا بين المسلمين وحدهم، بل أيضاً بين غيرهم ممن بقي على دينه القديم، لا في البيئات التي كانت قد أخذت تستعرب في عهد ما قبل الإسلام: بيئات العراق والجزيرة والشام فحسب، بل أيضاً في البيئات النائية: في إيران ومصر وبلاد أفريقيا الشمالية، فإذا هي تتعرب وتتعرب معها الأطراف الغربية للقارة الأوروبية في الأندلس.

وكان سكان هذه البيئات يتكلمون لغات مختلفة، ففي إيران كانوا يتكلمون الفهلوية، وفي العراق والجزيرة كانوا يتكلمون الآرامية، وفي بلاد الشام كانوا يتكلمون هذه اللغة ولهجات عربية مختلفة، وفي مصر كانوا يتكلمون القبطية والعربية، وفي المغرب كانوا يتكلمون البربرية بلهجاتها المتنوعة. وكانت اللغة اليونانية قد أخذت تشيع -منذ غزو الاسكندر- في الأوساط الثقافية في كل من بلاد الشام وإيران والعراق والجزيرة ومصر، بينما كانت اللاتينية تشيع في تلك الأوساط بشمال أفريقيا والأندلس.

وفي العهد العباسي أصبحت شعوبها جزءاً أساسياً في المجال الثقافي -الحضاري العربي، لغة وشعوراً وأدباً وانتفاء. وقد اختلف إسماعها إلى هذا الانصهار (التعرب) باختلاف مواقعها - بعداً أو قرباً- من الجزيرة العربية، فكان أسرعها تعرباً العراق والجزيرة والشام، وكان تعربها جميعاً قد بدأ بقرون قبل الإسلام، فأتمته الفتوح (الإسلامية) سريعاً، وتعربت شمال أفريقيا تدريجياً.

وفي هذا السياق الحضاري والمناخ الفكري المواتي أقبل الفرس -مثلاً- على التعرب إقبالاً منقطع النظير، فقد أكبوا على تعلم العربية إلى أن أتقنوها واتخذوها سريعاً للتعبير عن أفكارهم وعواطفهم، بحيث لانكاد ننقذ في العصر العباسي حتى يصبح جمهور العلماء والكتاب والشعراء منهم، فهم يقبلون على دراسة الشريعة الإسلامية ويتألق فيها نجم أبي حنيفة وتلاميذه، وهم يقبلون على جمع العربية وتدوين أصولها النحوية على نحو ما هو معروف عن سيبويه، وهم يقبلون على صناعة الكتابة على نحو ما هو معروف عن ابن المقفع، وهم يقبلون على الشعر بحيث يصبح أعلامه النابهنون منهم على نحو ما هو معروف عن بشار وأبي نواس.

وفي ظل التسامح الفكري العظيم ظلت كثير من اللغات الأصلية متداولة حتى في أكثر البيئات

تعرّباً أي في العراق والشام، ونقصد بها الآرامية أو السريانية والنبطية والفارسية والكردية والتركية وغيرها.

ونشير هنا إلى الفارسية، التي ظلت حيّة، مزدهرة، لابن سكان إيران فحسب، بل أيضاً بين سكان المدن في العراق، الذي زحف إليه من عصر بني أمية جموع كبيرة منهم، وازداد زحفهم في العصر العباسي الذي علا فيه سلطانهم. ويدل على ذلك من بعض الوجوه ما يرويه الجاحظ عن قاص من قصاص البصرة ووعاظها هو موسى الأسواري، إذ يقول: "كان من أعاجيب الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به، فنقعد العرب على يمينه والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدرى بأي لسان هو أبين" 1-.

وقد تعلم كثير من العرب الفارسية وأنقنوها، حتى لنراها تدور في مجالسهم. وممن اشتهر بإتقانه للفارسية الأصمعي العربي القح. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الفارسية شاعت على ألسنة كثيرين في الحياة اليومية لبغداد والكوفة والبصرة، وبسبب ذلك ولأنها كانت لغة الحضارة الفارسية دخل منها إلى العربية ألفاظ كثيرة، وخاصة ما اتصل بأسماء الأطعمة والأشربة والأدوية والملابس، ودخل إلى العربية في هذا العصر بعض ألفاظ هندية وخاصة في أسماء النباتات والحيوانات، كما دخل بعض ألفاظ اليونانية وخاصة ما اتصل باصطلاحات الفلسفة والطب وأسماء المقاييس والموازين والأمراض والأدوية (مثل القيراط والأوقية والقولنج).

ولم تعد هذه الألفاظ والكلمات غزواً للعربية، وكثيراً ما كانت تعرّب بحيث تتفق واللسان العربي، وقد ألف العرب فيها مصنفات كثيرة تميزاً لها وتعريفاً بها. وبذلك اتسعت العربية بفضل هذا الاحتكاك الثقافي الواسع، وتحوّلت من لغة البدو القديمة إلى لغة حضارية مع المحافظة على مقوماتها ومكوناتها الأساسية وأوضاعها وأصولها الاشتقاقية والصرفية والنحوية 2-.

وفي الوقت نفسه، وكنتيجة طبيعية لهذا الاختلاط الأممي الكبير شاع اللحن في العربية، وقد ساق الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" جملة من لكانات بعض الأعاجم، وهي لكانات مردها إلى ما كان يجده نفر من صعوبة التكيف العضوي لمخارج الحروف العربية، التي لا توجد في لغاتهم، إذ كان منهم من يبذل الرائ غيناً والزاي والتاء والشين سيناً والعين همزة والقاف كافاً أو طاء والجيم زايماً أو ذالاً والحاء هاءً والصاد سيناً والظاء زايماً واللام ياءً. ولكن الفصحى ظلت المثل الأعلى للناس في هذا العصر، وخاصة الطبقة المثقفة، وحتى غير المسلمين أو المؤمنين اتخذوها لسانهم وأدواتهم في التعبير، مما أحالها وعاء كبيراً لكل ما لقيته من ثقافات في البيئات الحضارية والاجتماعية والبشرية ومن معارف مختلفة متباينة، وهي معارف امتزجت فيها منذ فتوح الاسكندر عناصر شرقية بعناصر إغريقية مكونة مايسمى بـ "الثقافة الهلينية"، حيث إن زحوفه العسكرية شملت مصر وليبيا والشام والعراق وإيران وأفغانستان وشرقاً من بلاد الهند، وقد عني بنشر الثقافة اليونانية في كل البلدان التي احتلها ومضى خلفاؤه الذين ورثوا ملكه على نهجه. وبذلك امتزجت هذه

وقد فصل في هذه المسألة مؤرخون وباحثون كثر، سواء من العرب أو من المستشرقين، نذكر منهم -على سبيل المثال- كارل بروكلمان ومؤلفه الشهير "تاريخ الشعوب الإسلامية"؛ لويس غارديه وكتابه "أهل الإسلام"؛ كلود كاهن وكتابه "تاريخ العرب والشعوب الإسلامية"؛ هاملتون جيب وكتابه "التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى" .. الخ. بالإضافة إلى مئات المؤلفات العربية والإسلامية بهذا الشأن.

وبهذا السياق يقول لويس غاردييه: إنّ الجماعات غير المسلمة المرخص لها العيش وسط أمة النبي ظَلَّت ناشطة حتى القرن الثاني عشر للميلاد، وبعد ذلك انكمشت في وضع دفاع ذاتي: ففي القرن التاسع، وفي ظل السلطان الإسلامي، ظهرت دعوات قوية إلى المزدوية (أو المزدكية)<sup>3</sup>؛ كما أن المناظرات الإسلامية المسيحية كانت ناشطة بتشجيع واضح من الخلفاء أنفسهم. ومن جهة أخرى استقبل نصارى ويهود وصابئة من ذوي الكفاية في عدد كبير من ندوات "العلوم الإنسانية" في مجالس الخلفاء، التي سيكون لها أثر قوي في إرساء أسس ممتازة لحوارات عقائدية غاية في الأهمية والتأثير والروعة. وقد أدخلوا فيها، بفعل ذلك، قذراً وفيراً من تأثيرات ماضيهم الثقافي. وستحدث عملية تمازج ذي عنصر إسلامي مهمين، ولكن دون إهمال للمصادر النصرانية واليهودية والحنيفية وغيرها<sup>4</sup>.



الحجري المشهور في "سيان فو" بالصين الذي نصب سنة 781م تذكراً لجهود سبعة وستين سبشراً سريانياً، وانضمام الكنيسة الهندية وأتباع القديس توما في مالابار بالقرب من مدراس إلى بطريركية بغداد لدليل على حيوية الكنيسة السريانية وغيرها الدينية للتبشير بينما كانت تعيش في كنف المسلمين. ثم إن حروف الكتابة المتداولة اليوم عند المغول والمانشو قد تحدثت في الأصل عن أشكال كتابية مشتقة من الأبجدية السريانية التي حملها إلى تلك الأصقاع مبشرون من رهبان النساطرة 14-.

وقد لقي اليهود من محاسنة الخلفاء العباسيين مثل مالقيه المسيحيون مع مافي بعض الآيات القرآنية من تنديد بهم. والسبب أن الدولة كانت قوية لاتخشى أذاهم، وكان لهم في الدولة مراكز هامة، خصوصاً في عهد المعتضد (892-902م). وكان لهم في بغداد حي كبير ظل مزدهراً حتى سقوط المدينة. وقد زار هذا الحي بنيامين التيطلي حول سنة 1169م فوجد فيه عشر مدارس للاحاخامين وثلاثة وعشرين كنيسة 15-، منها واحد رئيس مزدان بالرخام المخطط ومطعم بالذهب والفضة. وأفاض بنيامين في وصف الحفاوة التي لاقاها رئيس اليهود البابليين من المسلمين بصفته سليل بيت داود النبي ورئيس الملة الموسوية (ريش جالوثا في الآرامية) 16-، أو بصفته في الواقع كبير الحاخامات وزعيم جميع اليهود الذين يدينون بالطاعة للخليفة (في بغداد) والسلطة المركزية. وقد كان لرئيس الحاخامين هذا سلطات تشريعية وروحية هائلة على أفراد طائفته. وقد روي أنه كانت له ثروة ومكانة وأملاك وافرة، فيها الحدائق والبيوت والمزارع الخصبة. وكان إذا خرج للمثول في حضرة الخليفة ارتدى الملابس الحريرية المطرزة وعمامة بيضاء موشاة بالجواهر وأحاط به رهط من الفرسان، وجرى أمامه ساع يصيح بأعلى صوته "أفسحوا درباً لسيدنا ابن داود" 17-.

وقد منح الصابئة لمؤهلاتهم العقلية وخدمات بعض نوابغهم العلمية الحماية والرعاية التي لأهل الكتاب. ويأتي في مقدمتهم ثابت بن قره وغيره من علماء الفلك الحرانيين، ومن اللامعين بين الصابئة البتاني الفلكي وابن وحشية المنسوب إليه كتاب "الفلاحة النبطية". ولعل جابر بن حيان الكيميائي الشهير كان منهم أيضاً. إلا أن الثلاثة الآخرين قد أسلموا.

وقد اقتضت المصلحة العليا للدولة والسياسة العملية - الواقعية لاحتساب الزرادشتيين كأنهم من الصابئيين، وبذلك توسع نطاق الذمة فشمّل كل أهل إيران. وبذلك ظلت الديانة الزرادشتية (وكانت دين الدولة الإيرانية قبل الإسلام) وهياكلها بعد الفتح الإسلامي منتشرة لا في الأمصار الإيرانية فحسب بل في العراق والهند أيضاً.

وبقيت فارس بوجه عام خارج حظيرة الدين الإسلامي مدة طويلة بعد فتحها. ولا يزال فيها إلى اليوم من أتباع زرادشت نحو تسعة آلاف شخص. وهناك بلاد كالجزيرة الفراتية ظلت أغلبية سكانها (إلى مابعد فتحها بخمسة أو ستة قرون) نصرانية، في أعيادها وتقاليدها وأديرتها وكنائسها وثقافتها. غير أن مايعنينا هنا بوجه خاص دور "المجالس" الأدبية والفلسفية والعلمية، التي كانت معلماً ثقافياً رائعاً في ذلك العصر.



ومؤرخ) أوصافاً دقيقة لطقوس وشعائر وعقائد أقوام الهند في كتابه الرائع "تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة".

ومن الطبيعي أن تتبادل هذه العقائد والملل التأثير فيما بينها، وأن تتشابه في مواضع ومعتقدات وتصورات عديدة. ومن ذلك نشير إلى تأثير المانوية -مثلاً- بزهد البوذيين وطرقهم في الزهد وتحريمهم ذبح الحيوانات.

وكانت الثقافة الفارسية الشعبية أبعد تأثيراً في المحيط العربي لهذا العصر، فقد دخل الفرس في الإسلام واقتبس العرب كثيراً من أساليبهم في المطعم والملبس وبناء القصور وتنظيم إدارة الدولة وترتيب الخدم والحشم، وآداب السلوك بين أيدي الملوك والرؤساء.

وكانوا يحتفلون معهم بأعيادهم، ويحكون عنهم قصصهم عن رستم واسفنديار وأخبارهم عن ملوكهم وحكمائهم (مثل بزرجمر). وكانت المجوسية ظلت حية بمعابد نيرانها ونحلها المختلفة من زرادشتية ومانوية ومزدكية، وماكانت تجتمع عليه هذه النحل من ثنويه أو اعتقاد بأن للعالم إلهين: إلهاً للنور وإلهاً للظلمة. وقد أصبح بعض العرب ثنويًا مانويًا على نحو ماكان صالح بن عبد القدوس وكان تأثير المزدكية في المجتمع العباسي أشد عمقاً وانتشاراً، مما يتوقعه المرء لتركيزها على مبادئ العدل الاجتماعي، والحث على المساواة والثورة على الظلم والاستعباد والاضطهاد، إضافة إلى ما قيل عن تساهلها في الميدان الاجتماعي وحياة اللهو والتمتع بالملذات و(ربما أن هذه المسألة تهمة يراد منها النيل من المزدكية اجتماعياً وقيماً وتنفيذ العامة من دعاتها ومناصريها).

ويرى عدد من الدارسين والمؤرخين أن تلاحقاً واسعاً حدث بشكل خاص بين العناصر الإسلامية والمسيحية في المجتمع العباسي، حيث نشأ جيل كبير أمهاته من المسيحيات، حاملاً ثقافتهم وكثيراً من طباعهم وعاداتهم وربما بعض معتقداتهم. وكان للمسيحية تأثير من وجوه كثيرة - فقد كانت قبائل عربية كبيرة (مثل تغلب وطيء) على المسيحية؛ وكان مسيحيو بغداد قد اختصوا بالصناعات المدنية الجديدة مندمجين في حياة الخلفاء والرعية؛ فمنهم كتاب السلاطين وأطباء الأشراف والعطارون والصارفة. وكان لقسم منهم دور عظيم بالترجمة من وإلى اللغات اليونانية والسريانية والعربية.

وانتشرت في العصر العباسي الحلقات العلمية المختلفة. وكان لكل فرع من المعرفة حلقة أو حلقاته الخاصة.. ومن أبرز الحلقات كانت حلقة المتكلمين لما يجري فيها من مناظرات ومحاورات بينهم أنفسهم وبينهم وبين أصحاب الملل والنحل. وكان يتحلّق كثيرون في حلقات اللغويين والنحاة، ويقال إنه كان يحضر حلقة ابن الأعرابي الكوفي زهاء مائة شخص، وكثيراً ماكانت تحتمل المناظرات بين أصحابها على نحو مايرى عن الأخفش من أنه تعرّض للكسائي في حلقة وسأله عن مائة مسألة محاوراً ومناقشاً مناقشات مستفيضة. وكانت هناك حلقات للفقهاء والمحدثين والمفسرين والنحويين وللشعراء والقصاص وغيرهم.

وهذه الحلقات الكثيرة لم يكن يشترط للحضور فيها أي شرط سوى التزام قواعد السماع وآداب



الحوار والمناظرة (التي جاء على ذكرها عدد من الأدباء والفقهاء والمتكلمين، وفي مقدّمهم الغزالي.. ولنا مقالة في "الأسبوع الأدبي" حول هذه المسألة). والملاحظ كثرة العلماء والمتخصصين في كل علم وفن، حتى ليرى أنّ النضر بن شميل تلميذ الخليل بن أحمد حين عزم على الخروج من البصرة إلى خراسان شيّعه نحو ثلاثة آلاف شخص بين محدّث ونحوي ولغوي وإخباري<sup>21</sup>.. وإذا كانت البصرة قد اشتملت على هذا العدد الوفير من العلماء فإنه ممّا لا شك فيه أن بغداد كانت تضمّ منهم أضعاف ذلك.

والظاهرة الثانية تتمثّل بنشوء طائفة من العلماء والأدباء الذين نوّعوا معارفهم تنوعاً واسعاً، إذ كانوا يختلفون إلى جميع الحلقات آخذين بطرف من كل لون من ألوان المعرفة حتى أصبحوا متقّفي عصرهم، الذين يستطيعون التحدّث حديثاً شائقاً في كل صور المعرفة والثقافة. وكانت لهم حلقاتهم، التي يسوقون فيها من الجدال والحوار في أيّ شيء يعنّ لهم. وكانت لهم حظوة في مجالس الخلفاء والوزراء وعلية القوم. ولعلنا لا نتعدّى الحقيقة إذا قلنا إنّ ظهور هذه الطائفة وما حظيت به في المجتمع العباسي هو الذي جعل الجاحظ وغيره يحولون كتبهم الأدبية إلى دوائر معارف واسعة، فاستقرّ في الأذهان أنّ الأدب هو الأخذ من كل علم وفن بطرف.

وإذا كان الخلفاء ووزراؤهم قد أغدقوا على هذه الفئة كثيراً، فإنهم لم يحرّموا شريحة العلماء المتخصصين، بل كثيراً ما كانوا يصفون عليهم عطاءاتهم الجزيلة، وجاراهم في ذلك الولاة وكبار القادة وكان أول من سنّ ذلك وجعله تقليداً للدولة المهدي فإنه أكثر من مكافأته للعلماء كثرة جعلتهم يشدّون إليه الرحال من كل أنحاء الدولة، وتبعه في ذلك ابنه الرشيد. وكان المأمون سحابة عطاء وبذل للعلماء والفلاسفة والمتكلمين.

وليس من شك في أن هذا التشجيع كان من أهم الأسباب في ازدهار الحركة العلمية والفكرية، إذ كان من يبرز نجمه في الحلقات لا يلبث أن يستدعى إلى مقر الخلافة أو دار الولاية أو دور الوزراء، فإذا العطايا تنهال عليه وإذا الرواتب تفرّض له شهرياً. وقد اتسعت في ذلك الحين صناعة الوراقة، وهي تشبه في هذا العصر الطباعة والنشر، وقد مضى العلماء حينئذ يفيدون منها، فاتخذوا لأنفسهم ورّاقين ينقلون عنهم كتبهم ويذيعونها في الناس. وكان مما دفع لرواج الوراقة تنافس كثيرين على اقتناء الكتب واتخاذ المكتبات، وقد أقامت الدولة منذ عصر الرشيد مكتبة ضخمة هي "دار الحكمة" عُنيّت فيها أشد العناية بالكتب المترجمة التي تحمل كنوز الثقافات الأجنبية، ولا ريب في أن هذه المكتبة كانت جامعة كبرى لطلاب العلم والمعرفة. في هذا المناخ الثقافي المؤاتي أخذ كثيرون من الأفراد يعنون باقتناء المكتبات، وكانوا يوظفون فيها بعض الورّاقين للنسخ، من ذلك مكتبة اسحق بن سليمان العباسي، وكانت تمتلئ بالكتب والأسفاط والرقوق والقماطير والدفاتر والمساطر والمحابر<sup>22</sup>، وأضخم منها وأعظم مكتبة يحيى بن خالد البرمكي، إذ قيل إنه لم يكن في مكتبته كتاب إلا وله ثلاث نسخ<sup>23</sup>، وربما فاق هذه المكتبة عظماً وضخامة مكتبة الواقي المؤرخ المشهور (المتوفى سنة 207هـ/786م)، وكانت تشتمل على ستمائة صندوق مملوءة بالكتب<sup>24</sup>، وكان له مملوكان

يكتبان ليلاً ونهاراً<sup>25</sup>-. الأمر الذي يدلّ دلالة أكيدة على الأهمية القصوى، التي كان يولاهما العلم والمعرفة والاطلاع على تجارب الأمم والثقافات الأخرى.

وقد حفظت لنا كتب التراث مجموعة رائعة من المناظرات والمحاورات، التي كانت تجري في مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء والأعيان، على نحو ما يروى من مناظرة الكسائي الكوفي واليزيدي البصري بين يدي المهدي<sup>26</sup>-. وما يروى من مناظرة الكسائي وسيبويه بين يدي الرشيد أو بين يدي يحيى بن خالد البرمكي<sup>27</sup>-. وكانت مجالس البرامكة ندوات كبيرة للمتكلمين والمتفلسفين من كل نحلة يتجادلون فيها ويتجاورون في كل ما يعرض لهم من مسائل، وفي ذلك يقول المسعودي: "كان يحيى بن خالد البرمكي ذا بحث ونظر، وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل النحل، فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده: "قد أكثرتم الكلام في الكمون والظهور والقدم والحدوث والإثبات والنفي والحركة والسكون والمماسّة والمباينة والوجود والعدم والجوهر والطفرة والأجسام والأعراض والتعديل والتحوير والكمية والكيف والمضاف، والإمامة أنصّ هي أم اختيار وسائر ما توردونه من الكلام في الأصول والفروع.. فقولوا الآن في العشق على غير منازعة، وليورد كل منكم ما سنج له فيه وخطر بباله"<sup>28</sup>-.

وكان مجلس المأمون ساحة واسعة للجدال والمناظرة والاطلاع على ثقافات الأمم وآدابها ومعارفها، وكان مثقفاً ثقافة واسعة عميقة بالعلوم الدينية واللغوية والفلسفية وعلوم الأوائل والشعوب الأخرى، فحوّل مجالسه في دار الخلافة ببغداد إلى ندوات علمية تتناول كل فروع المعرفة. وفي ذلك يقول يحيى بن أكنم: "أمرني المأمون أن أجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من بغداد، فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلاً وأحضرتهم وجلس لهم المأمون فسأل عن مسائل وأفاض في فنون الحديث والعلم"<sup>29</sup>-. ويمضي ابن أكنم فيقول: إنه لما انتهى ذلك المجلس طلب إليّ المأمون أن أّ نوع مجالسه بحيث تكون لكل طائفة من العلماء مجلس. ويعرض طيفور في كتابه "بغداد" كثيراً من هذه المجالس وما طرح فيها من موضوعات مختلفة للجدل والمناظرة. ويصورّ المسعودي ما عاين علي الحركة العلمية من هذه الندوات التي غدت كأنها مجمع علمي كبير، فيقول: "قرب المأمون إليه كثيراً من الجدليين والنظارين كأبي الهذيل العلاف وأبي اسحق إبراهيم بن سيار النظام وغيرهما، ممّن وافقهم وخالفهم، وألزم مجالسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء وأقدمهم من الأمصار، وأجرى عليهم الأرزاق (الرواتب)، فرغب الناس في صنعة النظر وتعلّموا البحث والجدل، ووضع كل فريق منهم كتباً ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله"<sup>30</sup>-.

وقد كُفّلت الحرية الفكرية في هذه المجالس والندوات أو المجامع إلى أبعد حدود ممكنة، بحيث كان كل رأي يعرض للمناقشة العقلية الخالصة، بما في ذلك آراء الزنادقة، كما يذكر الجاحظ<sup>31</sup>-. فكل شيء يناقش في حرية، وكل شيء يعرض على بساط البحث والجدل.

وكان وراء مجلس المأمون ومجلس يحيى بن خالد البرمكي مجالس صغرى يجتمع فيها العلماء ويتجادلون ويتناظرون، من ذلك مجلس أيوب بن جعفر بن أبي جعفر المنصور، وقد اجتمع فيه يوماً



في الدعوة لآرائه الاعتزالية ببغداد إذ يقول: "وفي سنة 220 (للهجرة الموافقة لسنة 799 ميلادية) ظهر إبراهيم النظام وقرر مذهب الفلاسفة وتكلم في القدر، فتبعه خلق" 38-. ويستكر الجاحظ تعرض العامة لمناقشة الملحد في آرائهم المتطرفة لعدم إحاطتهم الدقيقة بتلك الآراء وما ينقضها نقضاً من الأدلة، فيقول: "ومن البلاء أن كل إنسان من المسلمين يرى أنه متكلم وأنه ليس أحد أحق بمحاجة الملحد من أحد".

وليس من شك في أن ذلك كان ثمرة ازدهار التفاعل الثقافي والانفتاح الفكري والتسامح المذهبي -العقائدي في العصر العباسي، مما أسهم في بروز صفوة من العلماء والأدباء كان جمهورها من أبناء العامة قادت الحركتين الأدبية والفكرية قيادة خصبة باهرة، إذ استطاعت أن تكيّف كل مانقل إلى العربية من ثقافات متباينة وأن تضيف إليها من واقعها الخاص وتجربتها الذاتية مادام حضارتنا دعماً عظيماً، فبلغت أوج الازدهار والرفعة والسمو.

### ثقافات الأمم: تفاعل ونقل ومشاركة

كان من أبرز السمات التي تميّز بها العصر العباسي ازدهار الحركتين العلمية والثقافية، بسبب المناخ السياسي والاجتماعي والفكري المؤاتي والاتصال والتفاعل الخصب المثمر بين الثقافة العربية وبين ثقافات الأمم المستعربة، أو المجاورة للحضارة العربية -الإسلامية. والواقع أنه كان للأديرة وما بها من حلقات علمية من المدارس النشيطة المتناثرة في جند يسابور القريبة من البصرة وفي نصيبين وحران والرها وأنطاكية والاسكندرية.. لعبت دور هام، خصوصاً في ميدان الترجمة، إذ كانت تغلب عليها جميعاً المعرفة الجيدة للثقافة اليونانية، ناهيك من السيطرة التامة للثقافة والآداب والطقوس السريانية.

وفي هذا السياق تقول عالمة السريانيات الباحثة الروسية نينا بيغو ليفسكايا في كتابها الرائع "ثقافة السريان في القرون الوسطى"، والذي كان لنا شرف ترجمته إلى العربية 39- تقول: كانت القرون الوسطى مرحلة ازدهار فعلي للمدارس السريانية، واستمرت هذه المدارس تقوم بدور المراكز التعليمية الرئيسة حتى القرن الثاني عشر للميلاد. وتضيف: ويجدر بالذكر، أنه قد وصلت من تلك الأزمنة معلومات حول بعض المناطق التي تحولت إلى "مشائل" للعلم والثقافة ومصادر للتطوير والمعرفة في أقاصي الأقاليم الشرقية 40-.

فعلى الطريق الممتدة مابين القوقاز والخليج العربي، ومن آسيا الوسطى إلى شواطئ البحر المتوسط، وعلى حدود إيران ودولة السلاجقة، وبعد ذلك من حدود إيران الساسانية وعلى أراضي الامبراطورية الرومانية -البيزنطية قامت مراكز السريان ذات الأنشطة الاقتصادية (الحرفية والتجارية). ولقد كانت تلك المراكز نقاط فعاليات متعددة الوجوه مابين الدول الآسيوية، وكانت في الوقت نفسه مراكز ثقافية هامة. ففي هذه المراكز التجارية -الثقافية برزت مختلف النظريات والاتجاهات، وتنافست شتى المذاهب والعقائد، التي تعرّف السكان إليها بصرف النظر عن انتماءاتهم

العرقية - القومية المختلفة، وكذلك بفضل تحدثهم باللغة السريانية التي تحولت عندئذ لمختلف الأقوام والجماعات.

لقد استطاعت السريانية أن تشكل بحق الوسيط الفعال ما بين الغرب الإغريقي اللاتيني والشرق العربي - الإيراني. فقد لجأ الطرفان (الغرب والشرق) إلى عون السريان كنفلة علوم ومعارف ومترجمين. ولهذا أصبحوا أعضاء بعثات دبلوماسية ووفود، أرسلت إلى بيزنطة من طرف ملوك فارس، كما أتوا دوراً هاماً ومميزاً ما بين الدولة العربية العباسية وزعماء أوروبا الجنوبية.

إضافة إلى مكانتهم البارزة في ترجمة المصنفات اليونانية من لغتها الأصلية التي كان كثيرٌ منهم يتقنها إتقاناً عظيماً ومن لغتهم السريانية إلى اللغة العربية. وقد عني الخلفاء العباسيون منذ فاتحة عصرهم بهذا النقل عناية شديدة، فأنفقوا عليه من المال العام مبالغ كثيرة، يتقدمهم في ذلك المنصور، وفيه يقول المسعودي: "كان أول خليفة قرّب المنجمين وعمل بأحكام النجوم وكان معه نوبخت المجوسي وأسلم على يديه - وهو أبو هؤلاء النوبختية - وإبراهيم الفزاري المنجم وعلي بن عيسى الإسطرلابي المنجم. وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية" 41-.

ومعروف كذلك أنّ المنصور استدعى في سنة 148 للهجرة جورجيس بن جبريل بن بختيشوع كبير الأطباء في بيمارستان جند يسابور ورئيس مدرسته ليكون بجانبه وقد نقل كتباً كثيرة من اليونانية إلى العربية 42- . وتعاقت من بعده أجيال من أبنائه وأحفاده تخدم الطب والعلوم والترجمة والحضارة العربية. وممن لمع اسمهم في زمن المنصور في انترجمة أبو يحيى البطريق المتوفى سنة 180 للهجرة إذ عُني بنقل طائفة من كتب الطب اليوناني (خاصة كتب أبقراط وجالينوس).

وتعدّ الترجمة أحد المقومات الأساسية للتفاعل الثقافي في العصر العباسي، إذ تركت نتائجها الواضحة والبعيدة في عملية بناء الحضارة العربية الإسلامية. وقد أسهم المترجمون إسهاماً عظيماً في مجال التطور الفكري والتقدم العلمي الذي تميّز به العصر العباسي، في القرنين الثالث والرابع للهجرة وقد كان هؤلاء النقلة من جنسيات وأديان مختلفة، اجتمعوا على تجسيد هدف عظيم واحد ألا وهو خدمة الرقي والتقدم الحضاري في ظل الدولة العربية، وذلك بنقل ثقافة وعلوم أمم اليونان والفرس والهند إلى اللغة العربية، فحققوا بذلك أسمى مرحلة من مراحل بناء الحضارة العربية. ولولا الجهود الجبارة في هذا الباب (والتفصيل فيها يطول ويحتاج إلى دراسات مستقلة)، لما استطاع العرب أن يصلوا إلى الدرجة التي وصلوا إليها إثر قيام حركة الترجمة ونقلهم لتراث علوم الحضارات الأخرى إلى العربية. ومن جهة أخرى، فإن معظم هؤلاء المترجمين، لم يكونوا آلة للنقل في ترجماتهم لمصنفات الأمم الأخرى إلى لغة الضاد كما يزعم بعض الباحثين، بل إنهم كثيراً ما قاموا بعمل مخصصات، وتفسير، وشروح لعدد من الكتب التي قاموا بترجمتها، أضف إلى ذلك تأليفهم الكثيرة جداً في مختلف فروع المعرفة، فقد اختصّ عددٌ منهم بمعارف علمية وفكرية معينة.

والحقيقة أنّ ما قام به هؤلاء المترجمون في هذا المضمار ليس بغريب عليهم فإنّ جُلهم كان من الأطباء والفلاسفة والفلكيين والرياضيين، الذين بلغوا من الشهرة حداً كبيراً بفضل ما أنتجته قرائحهم

الخصبة في هذه الميادين. وقد تمتع قسم منهم بمكانة علمية رفيعة فوق مكانتهم في الترجمة. فمن حنين بن اسحق الطبيب والفيلسوف، إلى يعقوب بن اسحق الكندي الفيلسوف والرياضي والفلكي.. وثابت بن قره الرياضي والفلكي والفيلسوف، ثم عمر بن الفرخان الطبري الفلكي، وأبو بشر متى بن يونس المنطقي، ويحيى بن عدي المنطقي، وعيسى بن اسحق بن زرعة الفيلسوف وغيرهم وغيرهم.

وكان واحداهم يتقن لغة أو لغتين عدا اللغة العربية، فمثلاً حنين بن اسحق العبادي (194-260 هـ/809-873م) كان يتقن أربع لغات هي: السريانية، العربية، واليونانية والفارسية، وكان مترجماً يميّز بأقصى درجات الدقة والجودة. ومما يدلنا على براعة حنين في هذه اللغات، هو ماخلفه لنا من مصنفات نلاحظ من خلالها معرفته التامة بما ذكرنا من لغات. ففي مجال أسماء العقاقير نرى أن حنين بن اسحق، يضع في بعض الأحيان المصطلح اليوناني لاسم عقار ما يقابله بالعربية والسريانية والفارسية. وبهذا الخصوص يذكر ابن النديم: "كان حنين بن اسحق فاضلاً في صناعة الطب، فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية" 43-. ولهذا اختير حنين للترجمة وأوتمن عليها، وعين لها كتاباً عالمين بالترجمة، كانوا يترجمون ويراجع حنين ماترجموا كخبش بن الحسن الأعمى 44-.

إن معظم ترجمات حنين بن اسحق لم تكن لنفسه، بل كانت تتم بناء على طلب من القائمين على رعاية حركة الترجمة وأبرزهم في هذا الوقت الخليفة المأمون، الذي عهد إلى حنين أن يتولى رئاسة "بيت الحكمة"، حيث ترجم حنين في هذه المؤسسة العظيمة القسم الأكبر من نقوله للمأمون وبخاصة الكتب الفلسفية التي كان المأمون مولعاً بها ولعاً شديداً. وفي هذا السياق يذكر الأستاذ فيليب حنّي أن: أول من رأس معهد بغداد، أي بيت الحكمة، كان حنين بن اسحق.. وكان يعاون شيخ المترجمين (حنين بن اسحق)، في عمله ابنه اسحق وابن أخته حبش بن الحسن 45-.

وفي إطار بحثنا هذا نود الإشارة بصفة خاصة إلى الامتتان العظيم الذي كان فلاسفة المسلمين يشعرون به نحو اليونان، وإلى تواضعهم الجَم عندما يتحدثون عن آثارهم الشخصية في الفلسفة. ففلاسفتنا يتفقون جميعاً على أن الحقيقة التي يسعون إليها عن طريق الفلسفة تسمو على الحدود القومية والدينية، ولايهتهم المصدر الذي جاءت منه. فهذا الفيلسوف العربي يعقوب بن اسحق الكندي يصرح بوضوح شديد أنه "ومن أوجب الحق أن لانذم من كان أحد أسباب منافعنا الصغار الهزيلة، فكيف بالذين هم أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقة الجديدة.. وينبغي أن لانستحي من استحسان الحق واقتفاء الحق من أين أتى، من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا، فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق، وليس ينبغي بخس الحق ولا تصغير قائله ولا بالآتي به، ولا أحد بخس الحق، بل كل يشرفه الحق" 46-.

ونشطت الترجمة في عصر الرشيد ووزرائه البرامكة نشاطاً واسعاً، وكان ممّا أذكى جذوتها حينئذ إنشاء "دار الحكمة" أو "بيت الحكمة" وتوظيف طائفة كبيرة من المترجمين بها، ووضع أسس ناظمة لعمل أقسامها ودوائرها المختلفة، وجلب الكتب إليها من بلاد الغرب (الروم وفق التسمية الدارجة آنذاك)، وقام على هذه المؤسسة الكبيرة في عهد الرشيد يوحنا بن ماسويه، وكان طبيباً

نسطورياً من مدرسة جند يسابور، وفيه يقول ابن جليل: "قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة الطبية، ممّا وجد بأنقرة وعمورية وببلاد الروم حين سبأها المسلمون، ووضعه أميناً على الترجمة، ووضع له كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه" 47- . وإضافة إلى ترجماته فإن له مؤلفات كثيرة في الطب وتركيب الأدوية.

وللبرامكة فضل عظيم في إنكاء الترجمة حينئذ، فقد شجعوا بكل ما استطاعوا على نقل الذخائر النفيسة إلى العربية من اللاتينية (الرومية) واليونانية والفارسية والهندية، ومن ذلك طلب يحيى بن خالد البرمكي إلى بطريق الاسكندرية أن يترجم في الزراعة كتاباً عن الرومية (اللاتينية). وقد عنوا عناية واسعة بترجمة التراث الفارسي ونرى جيلاً كبيراً ينهض في عصرهم والعصر الذي تلاهم بهذه الترجمة، نذكر منهم آل سهل وعلى رأسهم الفضل بن نوبخت الذي ركز على ترجمة كتب الفلك 48-، وكان يترجم للمأمون في حدائته بعض الكتب الفارسية ويعجب بترجمته 49- . ومن أبرز المترجمين للتراث الفارسي حينئذ محمد بن جهم البرمكي وزادويه بن شاهويه وبهرام بن مردانشاه وموسى بن عيسى الكسروي وعمر بن الفرخان وسلم صاحب خزائن الحكمة وسهل بن هرون أحد خزنتها المشهورين 50- . ومن أنفس مانقلوه أمثال بزر جمهر وعهد أردشير بن بابك إلى ابنه سابور وكتاب جاويدان خرد في صنوف الآداب ومكارم الأخلاق وكتاب هزار أفسانه وهو أصل من أصول ألف ليلة وليلة. وقد نقل أبان بن عبد الحميد إلى الشعر سيرة أردشير وسيرة أنوشروان. وعلى نحو ما دفع البرامكة إلى ترجمة التراث الفارسي واليوناني دفعوا أيضاً إلى الانتفاع بالتراث الهندي وترجمته، يقول الجاحظ: "اجتلب يحيى بن خالد البرمكي أطباء الهند مثل منكه وبازيكر وقلبرقل وسندباد وفلان وفلان" وقد عملوا في البيمارستان الكبير ببغداد وسرعان ما استعربوا وشاركوا هم وغيرهم من مستعربة الهند في نقل بعض الكنوز الهندية وخاصة في الطب والعقاقير 51- . وشمل نقلهم صحيفة طويلة في قواعد البلاغة سجلها الجاحظ في بيانه 52- كما شمل قصة السندباد وكتباً كثيرة في الحكايات والأسماء مما تولع به العامة 53- .

لكن موجة الترجمة وتمازج الثقافات وتفاعلها بلغت أوجها وغاية ازدهارها في عهد المأمون، الذي حول "بيت الحكمة" إلى مؤسسة متكاملة، بالغة التنظيم والفاعلية، بحيث صارت أشبه بمعهد علمي كبير، وقد ألحق بها مرصده المشهور، الذي عين عليه يحيى بن أبي منصور وألحق به طائفة من نابهي الفلكيين، مثل علي بن عيسى الاسطرلابي ومحمد بن موسى الخوارزمي والعباس بن سعيد الجوهري 54- . ولم يلبث هذا المرصد أن تحول إلى مدرسة رياضية فلكية كبيرة تخرج فيها عدد كبير من أشهر الفلكيين العرب.

ولعل من مآثر المأمون في مجال رعايته لحركة الترجمة، استغلاله لظروف السلم والحرب في علاقته بالروم في سبيل تحقيق بغيته المنشودة والحصول على أكبر قدر مما خلفه اليونان من تراث وفي المجالات كافة. يقول ابن النديم: "لما استظهر (غلب) المأمون على ملك الروم كتب إليه يسأله إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج

المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة وغيرهم، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله، فنقل، وقد قيل إن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ إلى بلاد الروم" 55- ويقول ابن نباتة في ترجمته لسهل بن هرون: "جعله المأمون كاتباً على خزائن الحكمة وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص، وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل إليه يطلب خزائن كتب اليونان، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه أحد، فأرسلها إليه، واغتنب بها المأمون، وجعل سهل بن هرون خازناً لها" 56-.

وكل هذه السيول من الترجمة كانت تجري معها سيول أخرى من تراث اليونان والفرس والهند، حتى ليكاد الإنسان يظن أنه لم يبق شيء من هذا التراث لم ينقل إلى العربية، سواء منه ما اتصل بالعلوم أو ما اتصل بالصناعات أو ما اتصل بالفلسفة والحكمة أو بالعجائب والأسرار والخرافات أو ما اتصل بالعقائد والملل والنحل. وكانت كل هذه المعارف والآداب تتجمع في دكاكين الوراقين (مكتبات ذلك العصر ودور نشر المخطوطات)، ويطلب كل منها ما يجد فيه متاعه.

وكانت الفلسفة اليونانية والمعارف العلمية أعظم ما حملت هذه العلاقات الثقافية، وقد مضى العقل العربي يهضمها ويتمثلها ويضيف إليها إضافات باهرة، والمتكلمون -وعلى رأسهم المعتزلة- هم أهم من تعمقوا في الفلسفة بجميع شعبها ودقائقها، وقد عرضوها على بساط البحث، واستطاعوا أن ينفذوا إلى كثير من النظريات والأفكار التي لم يسبقهم إليها سابق.

وعلى هذا النحو أصبح العقل العربي في العصر العباسي عقلاً متفلسفاً، منفتحاً، كما أصبح عقلاً علمياً، لا من حيث فهمه وفقهه بعلوم الشعوب والحضارات الأخرى، بل أيضاً من حيث إسهامه فيها وإضافاته الجديدة، حتى ليضيف علوماً لأول مرة في تاريخ الحضارة الإنسانية على نحو ما أضاف الخوارزمي علم الجبر. وكان هذا العقل قد أظهر نضجه العلمي وإحكامه لوضع العلوم منذ القرن الثاني للهجرة، مما نراه جلياً في العلوم اللغوية والدينية ومباحث الكلام والتاريخ والطب والفلك والرياضيات.

ولعلّ علماً لم يزدهر في هذا العصر كعلم الكلام، ويراد بالكلام الجدل الديني في الأصول العقيدية لا عند المسلمين وحدهم، بل عند جميع الملل والنحل. وقد مضى كل متكلم مدافع عن عقيدة أو مذهب في ذلك العصر يتسلح في دفاعه بالفلسفة اليونانية وما يتصل بها من منطق وغير منطق، حتى ليقول الجاحظ بهذا الشأن: "ولا يكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام متمكناً في الصناعة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة" 57-.

ومن الناحية العقلية وانتشار الثقافة فقد شهد القرنان الثالث والرابع للهجرة شيوع الفروع العلمية المختلفة التي أقدم العرب على ترجمتها إلى لغتهم العربية، إضافة إلى ما جادت به قرائحهم في كل علم من تلك العلوم. وقد امتزجت في هذا المناخ الحضاري العظيم ثقافات الأمم وعلومها وآدابها امتزاجاً رائعاً في ظل خلفاء منفتحين، ومجالس مفتوحة وإخاء اجتماعي لا نظير له. هؤلاء الفرس والهنود يتتقون الثقافة العربية، وينتجون فيها، وهؤلاء وثنيو حرّان وسريان العراق وبلاد الشام





- عديدة.
36. الجاحظ: الحيوان 123/4.
37. الجاحظ: الحيوان 304/5.
38. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 334/2.
39. نينا بيغوليفسكايا: ثقافة السريان في القرون الوسطى. ترجمة الدكتور خلف جراد (دمشق، دار الحصاد، 1990). وفيه فصول إضافية عن المدارس و "الأكاديميات" السريانية في تلك المرحلة.
40. المصدر نفسه، ص 76.
41. المسعودي: مروج الذهب 241/4.
42. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص 37.
43. ابن النديم: الفهرست، ص 294.
44. ابن جليل: طبقات الأطباء والحكماء، ص 68-69.
45. فيليب حتي وآخرون: تاريخ العرب، ص 380. حيث جاء أن المأمون كان يقدم لحنين من الذهب زنة ما ينقله من الكتب.
46. الكندي (يعقوب بن اسحق): رسائل الكندي الفلسفية، ج 1، ص 102.
47. ابن النديم: الفهرست، ص 382.
48. الجهشيارى: الوزراء والكتاب (القاهرة: 1938)، ص 232.
49. ابن النديم: الفهرست، ص 174-341.
50. المصدر نفسه، ص 342، 421.
51. الجاحظ: البيان والتبيين 92/1.
52. ابن النديم: الفهرست، ص 424.
53. المصدر نفسه، ص 424.
54. المصدر نفسه، ص 383.
55. المصدر نفسه، ص 3390.
56. ابن نباتة: سرح العيون (القاهرة، مطبعة الموسوعات، د.ت)، ص 166.
57. الجاحظ: الحيوان 134/2.

- قنى. كان مسيحياً عالمًا بالمنطق، وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في زمنه، نزل بغداد بعد سنة عشرين وثلاثمائة للهجرة، وكانت وفاته في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة للهجرة = 908 للميلاد.
19. أبو سعيد اليسرافى، هو الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافى النحوي؛ سكن بغداد وتولى القضاء بها، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين، وتوفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة للهجرة = نحو 948 للميلاد.
20. الجاحظ: الحيوان 70/4 وما بعدها.
21. ياقوت الحموي: معجم الأدياء 238/19.
22. الجاحظ: الحيوان 61/1.
23. المصدر نفسه: ص 60.
24. ياقوت الحموي: معجم الأدياء 281/18.
25. ابن النديم: الفهرست ص 144.
26. الزجاجي: مجالس العلماء، ص 288.
27. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 271/2.
28. المسعودي: مروج الذهب 286/3.
29. طيفور (أحمد بن أبي طاهر): تاريخ بغداد، ص 45.
30. المسعودي: مروج الذهب 245/4.
31. الجاحظ: الحيوان 442/4.
32. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني (طبعة دار الكتب) 146/3.
33. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 29/2.
34. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء (بيروت، دار الفكر العربى)، ج 2، القسم الأول، ص 124، وابن القفطى: أخبار الحكماء (طبعة الخانجي)، ص 249.
35. حنين بن إسحق (808-873م): طبيب وشماس نسطوري، من قبيلة عباد العربية، ولد في الحيرة (العراق). تضرع من اليونانية. عينه الخليفة المأمون على "بيت الحكمة". انصرف إلى الترجمة، فنقل إلى السريانية والعربية بعض كتب أفلاطون وأرسطو وجالينوس. وله مؤلفات